لبيب الراعي

أيتها الارض

أيتها الجارة الرحيمة التي حملتني حتى اليوم وأنا ابن الرجل الذي طردهُ الله من جنّته
أيتها الصدر الرحب الذي ادوسهُ وفي دمي غذاؤهُ . . .
أيتها الكريمة الحليمة التي أمرّتها بحراثي فترتق بزادها وماءها ما فتقهُ في الزمان
أيها الندي الكثير الذي تدفّق منهُ الينابيع . .

أيتها الفاتحة ذراعيها لموتاي ، الخازنة في احشائها ذهبي ، الثابرة سموم الافاعي لتغبي شرّها ، الصامتة صمت الجبابرة لتكسر حدة الهوس في بياني ، الحاملة جبالها لا تتفنّن استولة الصبر ، الباسطة صحاريها لينسح لطاق أحلامي ، وحدائقها ومروجها لأضفر على رأس الحبيب اكليلهُ الزاهي ، المتبرّعة باشجارها لأجني ثماري ، المرتدية ثوبها القرمزي لا خلع عني حلل الحرير والدمقس وارضى باطماري ، الفاتحة بابها على مصراعيه للجبار والصعلوك والغني والفقير والمجنون والعاقل والذكي والابله لاسحق كبريائي وآخذ عنها درس المساواة ، الطاوية كبدها على النار لتفهمني أني خلقتُ للألم ، الباسطة كفها للموت وقبوره لأقطع حبل شروري وآثامي ، المتبلجة في الصباح لتغذّني من براثن اليأس ، الفاتحة صدرها لتضحيتي وجرأتي وتجددي ، المستبيحة دماء المعارك لتكاثر الاشلاء فاستقطع مظالمي ، الحاملة تماثيلي لأرى العظمة في أقراني وحياكتي لأصافح الرحمان وخرائبي لأتجمّل الماضي ، الناظرة بارحامها الى الامهات نظرة الزميل الى زميله ، المتصنّعة لمريدتي لأظلّ عملاً بالخليقة أكرع كؤوسها ، المتوّجة بالانق لكي لا يجاريها فوق عرشها سلطان ، السائرة في مواكب الاجيال ، المستظلة براية الزمان ، الراقدة في احضان الليالي ، المفترشة الفضاء ، المتحفة بجلال الخالق ، السابحة في بحور النور ، المفعمة بالأثير ، الرائقة بحلل التاريخ ، الحائرة بين المهود واللحود ، المتكئة على وسادة الله ، الباسطة بقاراتها يدها ذات الاصابع الخمس ، الزاحفة في طريقها الى حيث لا تدري ، الحاملة اعباء الانسانية على ظهرها الحديدي الذي لا تقوّسهُ الايام ، الدائرة على نفسها كأنها تحاول أن تفلت من حقارة الانسان ، الماردة قمرها للعاشقين ونجومها للطامحين وبحورها لليائسين وغاباتها لقراطيس الموهوبين وحراجها للمظلومين الفارّين وساحاتها للمصارعين وبلاياها للمقرورين المتجبرين وانجادها للمجاهدين وشلالاتها

لمن أصيب بالعقم وتحجّر قلبه وغلظت كبده، واجواءها للمحلقين وزواياها للقانصين ونواقيسها للناسكين ، القائمة على قمة هرمها الايدي الذي يؤلف جوانبه الثلاثة امسها ويومها وغدها ، الخافقة على الاسكندر وهانيبال ويوليوس قيصر ونابليون الذين حاولوا أن يمتلكوها ، المترفة بجميل كولمبس الذي اهتدى الى شطرها المفقود

أيتها الارض ! ! ياسرح الوجود وماوليدة الرحمن ، ايتها التائهة في صحراء الله السابحة في بحور حلمها الاكبر الذي غابت عنّا أسراره . . .

أيتها الارض ! ؟ أنا من ضيوفك الذين القتهم في احضانك يد الحب القاهرة اتيتك باكياً وما جفّت دمعتي بعد . . .

اتيتك حائراً وما تزال في حيرتي . . .

ورأيت الناس يموتون وأنت تفتحين يدك أبواب لحودهم فدبّ الرعب في نفسي وجئتك مستجيراً استحلفك بمعجزاتك أن لا يكون نصيبي نصيب رفقائي فيطول بقائي الى أبد الآبدين . . وأنا انما احب الحياة في ظلالك والخلود في حماك لكي لا يقال اني ضيقك الذي اغتالهُ ترابك وانك تتمكين باللاجئين اليك المستوطنين كرمك ورضاك . . . ولكي أجاريك في سيرك الى يومك الاخير . . .

أحب ان أرافقك ايتها الارض الى نهاية الطريق الذي رسمتهُ لك السماء وان أكون ثابتاً على مسرحك ثبات شجرك التي لا تطفو وقمرك الذي لا يموت وعجلتك التي لا تمل ولا تتوارى وينابيعك التي لا تجف وسنابلك التي لا تفنى . . .

احب أن لا أزول وفي رأسي فكرة واحدة وفي صدري عاطفة واحدة . .

أحب ان أبقى لأظلّ من البنائين فلا يهدم الفناء بنائي . . وأن اظل حيّاً لاستكشف اسرارك واسراري . . .

لقد رضيت بآلامك وشربت دموعك وهلل قلبي لجراحاتك فما انا نافر منك ولا أنا حانق عليك . . .

ليطل حبل شبابي وليأتني الهرم في الساعة الاخيرة قبل يومك الاخير . . .

احملني على اجنحتك الى حيث تريدين ولكن بربّك لاتميلي عليّ ترابك البليد ففي ذلك انتقام بليد انت اكبر من أن تتسلّحي به ايتها الارض الحيارة الشرهة الكريمة

إن بساطك فسيح جداً فلا تخافي أن لا اجد فيك مكاناً على توالي القرون . .

انا لك ايتها الارض . . أنا لك على علاّتك فلا تطردني من بينك . . إن حقّ الضيافة مقدس ولا يطرد ضيوفهُ الا الوقح الزنيم . .